إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة الحادية عشرة ـ العدد الحادى والأربعون ـ ربيع ١٤٠٠ش / آذار ٢٠٢١م
DOR: 20.1001.1.22516573.2021.11.41.3.0
صص ٨٣ ـ ٦٥

ملامح النرجسية فى أشعار أبى العلاء المعرى (فى ضوء نظرية "أوتو كيرنبرغ" النفسية)

محمدحسن أمرائى*

الملخص

تعرّف الدراسات السيكولوجية الحديثة ظاهرة النرجسية بأنّها الشعور المفرط بتعاظم النفس والاعتداد بالذات وتضخيم النفس وقد عرّفها المحلل النفسى النمساوى الشهير "أوتو كيرنبرغ" ووضع أساساً لتشخيص الشخصية النرجسية، حيث قدّم تعريفا واضحا للشخصية النرجسية المضطربة والمعتدلة فى ضوء إحدى عشرة سمة واضحة، ومنها الميل إلى الافتخار بالذات واستعراض القوّة والشهرة وتفضيل الآباء والأسرة على الآخرين والشكوى من الحساد. إذن فهذا المقال يرمى إلى إزاحة السّتار عن ظاهرة النرجسية وتداعياتها المختلفة لدى الشاعر العباسى أبى العلاء المعرى وفقا لآراء "أوتو كيرنبرغ" النفسية والمنهج الّذى اعتمدناه فى هذا المقال هو المنهج النفسى القائم على دراسة أشعار الشاعر الذى يهدف إلى الكشف عن عالمه الفكرى والنفسى المتمثل فى النرجسية والفخر. بإمكاننا أن نرصد مظاهر هذه النرجسية فى معظم أشعار الشاعر ولكن تكاد تكون فخرياته المنشودة فى ديوانه الشهير المعنون بـ"سقط الزند" مرآة صافية وصادقة تعكس نرجسية الشاعر وأصداءها بشكل لا غبار عليه. هذا وقد حاولنا إلقاء الضوء على أهمّ أسباب وعوامل نشوء هذه الظاهرة النفسية بداخل الشاعر؛ حيث يمكن اعتباره من الشخصيات النرجسية المعتدلة وفقا لما يراه المحلل النفسى "أوتو كيرنبرغ". ومن أبرز التداعيات الّتى تركتها ظاهرة النرجسية عند الشّاعر أنّه أولع بنفسه وبشعره وبالغ فى إعلاء شأنه وفضّل نفسه وقومه على أبناء جنسه كلّهم كما أبدى شكايته مريرة من حسد الحسّاد، مظهرا غضبه واستياءه فى وجه كلّ من يأتى بما لا يرضيه.

الكلمات الدليلية: العصر العباسى، الشعر، أبوالعلاء المعرى، النرجسية، السيكوباتية، السيكولوجية الحديثة.

---

*. أستاذ مساعد فى اللّغة العربية وآدابها بجامعة ولايت، إيرانشهر، إيران m.amraei@Velayat.ac.ir
تاريخ الاستلام: ١٤٤٢/٠٢/١٨ق تاريخ القبول: ١٤٤٢/٠٩/١٦ق

المقدمة

إنّ الدراســات الأدبية ذات طابع سيكولوجيّ تحظى بأهمية بالغة لدى الدارسين فى مجال الأدب المعاصر وقد راجت وانتشــرت فى العقود الأخيرة مباحث تتعلّق بالجانب النفســيّ للأدب وتهتمّ بشخصية الشــعراء وآثارهم الشّعرية بأســلوب نفسيّ مصحوباً بالدراسات السيكولوجية المتطورّة. ومن أهم مكتسبات هذا الاتّجاه النفسى هو الكشف عن ظاهرة النرجســية لدى عدد من الشعراء القدامى والمعاصرين. و«الصّفة الأساسيّة فى الشّخصية النّرجســية هى الأنانية؛ فالنّرجسيّ عاشق لنفسه ويرى نفسه هو الأفضل والأجمل ويرى الآخرين أقلّ شــأناً منه. فالشّــخصية المصابة بالنّرجسية تشعر شعوراً غير عادى بالعظمة وترى نفســه نادر الوجود وتعطى أفعاله قيمة عالية.» (ابن منظور، ١٤٢٦ق: ٢٩) يمكن القول إنّ «المصابين بالنرجسية يتمتعون غالباً بالجمال أو الذكاء أو النجاح فى الحياة وهذه هى النّواة الأولى لظاهرة النّرجسية فيهم.» (غرانبرغر، ٢٠٠٠م: ٤٩) والأهم من التعريف العام لهذا المصطلح هو موقعه فى الطب النفسى وفى مجال العلوم النفســية قاطبة .ويقول البعض إنّ «فرويد، هو أول من اســتخدم هذا المصطلح للتعبير عن مفهوم الحبّ المرضى للذّات ويقول الآخرون، أول من أدخل مصطلح النّرجسيّة فى الطب النفّسى هو الدكتور هافلوك إليس (١٨٥٩-١٩٣٩)»[1] (البحيرى، ١٩٨٧م :١٣)؛ ولكن رغم هذه الأقوال كلها فإنّ كل الدراسات تنتهى إلى معنى واحد يكمن فى الكلمة وهــو حبّ الذات والإعجاب بالنّفس. من هذا المنطلق، يدخل مقالنا فى هذا الســياق؛ إذ إنّه محاولة متواضعة للكشــف عن نرجسية الشاعر العباسيّ العملاق وبواعثه النفسية من خلال دراستنا لشعره وفقا للمنهج النفسى فى النقد الأدبى حتى نلقى أضواء ساطعة على شــخصية الشاعر بغية الكشف عن عالمها الفكرى والنفسى. اذن فركزنا على آراء المحلل النفسى أوتو كيرنبرغ[2] فى مجال علم النفس. ولقد عثرنا أثناء دراستنا فى شعر أبى العلاء وخاصّة فى ديوانه سقط الزند واللزوميات على لقطات شعرية تنجلى عنها مظاهر النرجســية وأصداؤها بشــكل يتناغم مع الدراسات الحديثة لعلم النفس وهذا الكشف

1. Havelock Ellis
2. Kernberger

ما دفعنا إلى دراسة أعمق وأشمل لأشعاره بناءً على ما حصلنا عليه عبر إمعاننا فى الدراسات النفسية المتعلّقة بالنرجسية آملين أن تكون هذه الورقة البحثية بمثابة إضافة إلى التراث السيكولوجى الذى ربّما يسهم فى إثراء المكتبة النفسية الإيرانية والعربية.

أسئلة البحث

نرمى عبر هذا المقال إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما هى أبرز أسباب إثبات الذات، والنّرجسية فى شخصية أبى العلاء المعرى وفقا لنظرية أوتو كيرنبرغ النفسية ؟
٢. ما هى أصداء وتداعيات النرجسية البارزة فى أشعار أبى العلاء بالاعتماد على معطيات علم النفس فى هذا المجال؟

فرضيات البحث

والفرضيات الّتى يدور حولها هذا المقال هى:

١. إنّ أهمّ الأسباب لنشوء النرجسية بداخل الشاعر وفقا لنظرية أوتو كيرنبرغ هى العوامل التى تكمن جذورها فى نفس الشاعر والبيئة والوراثة.
٢. الاعتداد بالنفس والاعتزاز بالآباء والفخر بالانتصارات والازدراء بالآخرين والتشاؤم منهم هى من أبرز تداعيات حالة النرجسية فى نفس الشاعر.

الدراسات السابقة

هناك دراسات كثيرة تناولت لمحات من جوانب حياة أبى العلاء وأدبه ولاسيما فلسفته التشاؤمية، فيما يلى نشير إلى بعض الكتب والمقالات المنجزة فى هذا المضمار:

«زيبايى شناسى مؤلفه‌هاى برجسته‌ساز در قصيدة)اللامية الفخرية) ابوالعلا معرّى با رويكرد سبک‌شناسى (١٣٩٧ش)» للباحثين بهروز قربانزاده وجواد محمدزاده ورسول فتحى مظفرى. تناولت هذه المقالة، باستخدام المنهج الوصفى التحليلى القائم على الأسلوبية، الجوانب الجمالية للمتغيرات البارزة فى قصيدة "اللامية الفخرية" فى مجالات مختلفة (صوتية، معجمية، نحوية، دلالية).

«الخيام والمعرى بين التشـاؤم والتفاؤل» للباحثة انسيه خزعلى (١٣٨٥ش). اهتم البحث بنوعين من التشـاؤم المطلق والنسـبى فى حياة الشـاعرين وفى النهايه وَضّح البحث وجوه الاشـتراک والاختلاف فى مفهومى التشاؤم والتفاؤل عند كل من المعرى والخيام وختاما وصل إلى أن إطلاق مصطلح المتشـائم على الشاعرين قد تجاوز دائرة الإنصاف والحرى أن نسمّى بعض الأشعار، أشعار الشكوى والنقمة على الوجود.

«بررسـى آراء و انديشـه‌هاى ابوالعلاء معرى، شـاعر عرب» لعلى رضا ذكاوتى قراگزلو (١٣٨٨ش). هذا المقال نقاش محايد حول بعض أفكار أبى العلاء المعرى وآرائه إلى حيث يُعتبر فى هذا المقال أبوالعلاء شـخصًا متوحدًا وقد تمت دراسـة بعض ملامح فكره معتمدة على آراء طه حسين فى المجال نفسه.

«بررسـى تطبيقى افكار و عقايد ابوالعلاء و خيام» للباحثة ليلا أمينى لارى وسيد فضـل الله ميرقـادرى (١٣٨٨ش). فى هـذا المقال، بعد إشـارة مقارنة إلـى حياة كلا الشـاعرين، تطرّق الباحثان إلى لمحات من أفكار الشاعرين وتوجهاتهما الإيديولوجية والاجتماعية.

وغيرهـا من الدراسـات المتناثـرة فى ثنايا الكتب والمجلات المنشـورة فى المواقع الإلكترونية الّتى ربّما جاءت بأشـياء مهمّة عن شخصية الشـاعر وفاتتها أشياء أخرى لا تقلّ أهمية عنها، ورغم ذلک لم نعثر على دراسـة شاملة وافية لموضوع المقال: ملامح النّرجسـية فى شـعر أبى العلاء المعرى فى ضوء نظرية أتو كيرنبيرغ النفسـية. لقد كتبت العديد من الدراسـات القيمـة عن المعرى وأدبه، وقد درس كل منها الشـاعر وحياته الأدبية والعلمية من زوايا مختلفة وأبدت نقاطًا رائعة ومفيدة فى المجال نفسه؛ على الرغم مـن عدم وجود حاجة أو فرصة لذكر هـذه الأعمال فى هذا المقال، لكن المؤلف يدرک جيدًا أن هذه الأعمال تشبه الأضواء، كل منها ينير ركنًا من الظلام للباحثين ويساعدهم كثـيرًا فى تحقيق أهدافهم وتطلعاتهم. ومنها ما نـراه فى الجوجل بعنوان «الفصل الرابع: ظهرت النرجسـية فى شعر الفخر لأبى العلاء المعرى»؛ حيث درس فيه أبياتا تفوح منها رائحة النرجسـية والفخر فى ديوان سـقط الزند فقط ولم يدرس نرجسـية الشـاعر فى دواوينـه الأخرى. يمكن البحث عن هذه العبـارة بعنوان «عفاف وإقدام وحزم ونائل»

فى الجوجل؛ حيث كان الشاعر يحبّ الظهور والالتفات إليه؛ وظهرت آثار هذا الحبّ فى تعظيم أفعاله ولعله فصل من كتاب أو رسالة والموقع: http://digilib.uinsby.ac.id/10532/7/Bab4.pdf.

يؤكد المؤلف كذلك على أنه انتفع بهذه الأعمال القيمة المدروسة فى هذا المجال وملأ أمتعته بهذا المصدر العظيم، وفى نفس الوقت يحترم جهود هؤلاء العظماء. لكنه يقول بتواضع إنّه لا يزال هناك مجال للنقاش؛ إذ – على حد علم صاحب هذا القلم – إنّ المصادر الّتى تناولت نتاجات الشعراء العرب القدامى، لم تلتفت إلى نرجسية المعرى على حد الكفاية. إذاً فنحن حاولنا تفسير وتطبيق ظاهرة النرجسية والفخر لدى أبى العلاء المعرى فى كلا ديوانيه المسمّيين بـ"لزوم ما لا يلزم" و"سقط الزند" وذلك بالاعتماد على المكتسبات الجديدة فى علم النفس معتمدا على نظرية أوتو كيرنبرغ النفسية فى مجال النرجسية، وأشرنا إلى لمحات من فخر المعرى بنفسه ونرجسيته إشارة سريعة عابرة منحصرة فى إيراد شواهد شعريّة مع تحليل وتنقيب.

منهج الدراسة ونطاقها الموضوعى

ليست علاقة الدراسات الأدبية بعلم النفس مسألة جديدة؛ بل هى قديمة قدم المادة الأدبية نفسها (عبدالرحمن محمد، ٢٠٠٠م: ١٢٦) ولكن بدأ المنهج النفسى بمعناه المصطلح والعلمى مع بداية علم النفس ذاته منذ مائة عام وعلى وجه التحديد فى نهاية القرن التاسع عشر بصدور مؤلّفات "سيغموند فرويد" (فضل، ١٤١٧ق: ٦٧)؛ ثمّ أخذ التحليل النفسى يتطوّر وتتسع آفاقه وتتنوّع وسائلُه فى دراسة النصوص الشعرية واستخلاص رموزها ويتحوّل إلى وثائق نفسية للشعراء والكتاب؛ ففى منهج النقد النفسى يدرس النص الأدبى على المعايير النفسيّة ويُحاول أن يكشف العلاقات النفسيّة بين العمل الأدبى وصاحبه (إقبالى ونقوى، ١٤٤٠ق: ٤٢٦)؛ بحيث يمكن التعرّف على شخصية الشاعر ودراسة تخلجاته النفسية المسيطرة عليه من خلال قراءة مقولاته الأدبية. لقد راجت وانتشرت المباحث المتعلّقة بالجانب النفسىّ للأدب فى العقود الأخيرة إلى حيث ألقت أضواء ساطعة على شخصية الشعراء

وآثارهم الشّعرية بأسلوب نفسيّ مصحوباً بالدراسات السيكولوجية المتطورّة. ومن أهم مكتسبات هذا الاتّجاه النفسى هو الكشف عن ظاهرة النرجسية لدى عدد من الشعراء القدامى والمعاصرين منهم المتنبّى وأبوفراس الحمدانى وابن الرومى وغيرهم. فمن هذا المنطلق، لقد اتبعنا فى دراستنا هذه المنهج النفسى التحليلى القائم على نظرية المحلل النفسى النمساوى الشهير أوتو كيرنبيرغ؛ إذ إنّ الدراسة النفسيّة فى أشعار أبى العلاء فى دواوينه سقط الزند ولزوم ما لا يَلزم (اللزوميات)، تدلّنا على بعض مصاديق ما قاله أوتو كيرنبيرغ فى نظريته النفسّية حول النرجسية والسيكوباتية. ففى هذا المقال تدرس شخصيّة أبى العلاء المعرى ونرجسيته، دراسة نفسية وتحلل نفسيّات الشاعر مستندا إلى أشعاره الموجودة فى دواوينه المشهورة الموسومة بـ"سقط الزند واللزوميات".

نظرية "أوتو كيرنبرغ" النفسية فى ظاهرة النرجسية

كان هناك اهتمام متزايد فى السنوات الأخيرة بالنرجسية المعاصرة كظاهرة مثيرة للجدل على مستويات النظرية. (البحيرى، ١٩٨٧م: ٣٧) فى هذه الدراسة النظرية نقدّم نبذة مختصرة عن آراء "أوتو كيرنبرغ" من أبرز العلماء المعاصرين فى مجال علم النفس الحديث. يمكن القول إنّ هذا العالم النفسى النمساوى قام بإحياء الاهتمام بالنرجسية و وضع أساساً لتشخيص الشخصية النرجسية، حيث قدّم تعريفا واضحا للشخصية النرجسية المضطربة فى ضوء إحدى عشرة سمة واضحة:

١- تفضيل النفس على الآخرين.
٢- مبالغة فى الإنجازات والزهو بها.
٣- تضخيم ومبالغة فى المصائب.
٤- البحث عن المناقب فى آبائهم والفخر بهم.
٥- الطموح إلى نجاح يفوق الخيال.
٦- حبّ الظهور وإثبات الذات.
٧- الازدراء بالآخرين واحتقارهم.

٨- التّوقع بأن يكون هو الشخص المثالى مع التخلّى عن تحمّل المسؤوليات.
٩- إظهار الغضب والاستياء فى وجه كلّ من يأتى بما لا يرضيه.
١٠- افتقار الشّخص إلى التعاطف وعدم القدرة على إدراك ما يشعر به الآخرون.
١١- الاهتمام الزائد والتركيز المفرط على الذات واستعراض القوة والطموح الزائد والشعور بالخيلاء متزامناً مع الشعور بالنقص والملل والضيق والفراغ والرغبة المستمرّة فى البحث عن القوة والجمال من أجل إشباع الذات والانبهار والاعتداد بالنفس واحتقار الآخرين والازدراء بهم. (kernberg, 1974: 86) ثمّ حدّد معالم الشخصية النرجسيّة قائلاً: «النرجسى يميل نحو إعطاء قيمة عالية لأفعاله ويطمح إلى المبالغة فى مدح الذات بصفات العظمة وتضخيم المشاكل والبحث عن المثالية لذاته وآبائه.» (البحيرى، ١٩٨٧م: ١٦٢) وقد ذكر أوتو كيرنبرغ تفاصيل آخر عن مفهوم النرجسية المرضية معتبرا هذا المرض نتيجة لعلاقة باردة غير متعاطفة مع الأبوين فى مرحلة الطفولة وأنها تعويض مرضى عن تلك المرحلة (جودة، ٢٠١٢م: ٥٣) وبيّن أن الشخصية المريضة بالنرجسية، والتى تتصف علاقاتها الاجتماعية بالمبالغة فى الاعتماد على الذات والشعور بالعظمة والكبرياء، تظلّ مرتبطة فى رأيه وإلى حد كبير بإعجاب الآخرين بها، وهى تكون شخصية "سطحية وهشّة عاطفيًّا" ويملأ الحسد كيانها. (المصدر نفسه: ٥٣) فمن هذا المنطلق، يمكن تصنيف الكثير من الشعراء أو الشخصيات الأدبية التى أولعت بالاعتزاز بالنفس أو الآباء والازدراء بالأعداء أو الوشاة ضمن الشخصيات النرجسية وربّما يأتى فى عداد هؤلاء: المتنبى وابن الرومى وأبى فراس الحمدانى وشاعرنا أبى العلاء المعرى وغيرهم كثيرون. بناءً على ذلك نرى أنّ أبا العلاء قد اتّخذ مسار المبالغة فى استعراض القوّة فى حياته الأدبية أو العاطفية والنفسية. ونحن فى هذا المقال، ووفقا لنظرية "أوتو كيرنبرغ" الجديدة فى مجال علم النفس، التى سبق ذكرها، نحرص على تصوير هذه النرجسية من خلال لمحات من أشعار أبى العلاء المعرى.

ملامح النرجسية فى أشعار أبى العلاء المعرى

يجدر هنا أن نقوم فيما يلى بالبحث والتنقيب فى شعر أبى العلاء المعرى لنستقصى فيه ما ينطبق مع المعايير المذكورة أعلاه وفقا لنظرية أوتو كيرنبرغ النفسية بادئين بـ:

تضخيم الذات والمبالغة فى تفضيلها على الآخرين

لقد ذكر العالم النفسى النمساوى، "أوتو كيرنبرغ" الأفراد ذوى الشخصية النرجسية المضطربة بأنّهم «يظهرون طموحاً عالياً وأهدافاً نبيلة ولا يتحمّلون مواقف الفشل ولا يعترفون بعيوب ذواتهم ولديهم رغبات حادّة لا تشبع فى أن يكونوا موضعاً للإعجاب.» (kernberg, 1974: 83) «فالنرجسىّ ينقصه احترام الآخرين، لأنّه يحاول تعظيم نفسه.» (غرانبرغر، ٢٠٠٠م: ٥٠) وهذا ما نراه فى قاموس "أوتو كيرنبيرغ" لعلم النفس حيث تعرف النرجسية على أنّها: «تقييم الفرد المتعاظم للذات والانشغال بخيالات النجاح والقوّة والإحساس بالصدارة والميل إلى استغلال الآخرين.» (جودة، ٢٠١٢م: ٥٥٥) تبلورت هذه المؤشرات ذات نزعة الفخرية فى قصائد أبى العلاء؛ حيث يعظم نفسه ويفضّلها على الآخرين، ومنها ما تفوح منه رائحة تضخيم الذات والنرجسية، قائلا:

وَرَائى أمامٌ والأمامُ وَراءُ إذا أنا لم تُكْبِرْنىَ الكُبَرَاءُ
بأىّ لِسانٍ ذامَنى مُتَجَاهِلٌ علَىّ وخَفْقُ الرّيحِ فىّ ثَناءُ
وإنّى لَثْرٍ يا ابنَ آخِرِ لَيْلةٍ وإنْ عَزّ مالٌ فالقُنوعُ ثَراء

(المعرى، ١٩٥٧م: ١٨٩)

يدعى المعرى بأنه هو الذى يعلم كل شىء وليس من هو أعلى منه، وهو يذكرنا أن مكرماته ملأت كل الأماكن وهوغنى بفضائله وكرامته لدرجة أن الريح تمدحه على صدق كلامه وكل ما يأتى منه مثل الأعمال، الأفكار والآراء هى للإصلاح من حوله فقط. اذن فكيف يذلون المعرى حيث تمدحه الرياح بهبوبها كذلك. فهو لا يحتاج إلى كل أنواع الخيرات والزخارف الدنيوية فى حياة الإنسان. هذا الموضوع، من وجهة نظر «العلم النفسىّ التحليلىّ يعدُّ إحدى سمات الشخصية التى ترتبط بالشعور بالعظمة والتطلّع الدائم للسلطة والتعالى على الآخرين.» (يراجع: جودة، ٢٠١٢م: ٥٥٦) فالشخص النرجسى يميل لأن يضع نفسه محطّ أنظار جميع عيون الناس، وذلک باعتباره الشخص الأكثر استحقاقًا للاهتمام لأنه هو الأفضل فى كل شىء.

فى قصيدة أخرى نراه يمجّد نفسه ويشير إلى علوّ جاهه ومكانته العظيمة، حيث إنّه بلغ ذروة قمم المجد والعلى؛ فلا يدرک شأوه أحدٌ، ولا يدانى مكانته فى حلبة المعالى

والشّرف، قائلا:

ألا فى سبيلِ المَجْدِ ما أنا فاعلٌ ... عَفافٌ وإقْدامٌ وحَزْمٌ ونائِل
تُعدُّ ذنوبى عند قوم كثيرةً ... ولا ذنبَ لى إلا العُلا والفضائلُ
وقد سار ذِكرى فى البلاد فمَنْ لهم ... بإخفاءِ شمس ضوؤها متكاملُ
يَهِمُّ الليالى بعضُ ما أنا مضمرٌ ... يُثقِلُ رضوى دون ما أنا حاملُ

(المعرى، ١٩٥٧م: ١٩٣)

يرى المعرى أن سبيل المجد ينتهى إليه حيث يعتدّ بنفسه كثيرا ويعتقد أنه كم من رجل جاهل يعتبره مسيئاً فى حالة أنّه لا ذنب له فى الحياة الدنيا إلا اكتساب المعالى والعظمة والفضائل. وقد فشا اسمه الحسن فى البلاد وملأ أرجاءها ونواحيها كلها، حتى لا يتمكن من أحد أن يطفئ نور وجوده علما وأدبا. من الملاحظ أن الشاعر افتخر بنفسه متحلية بالفضائل والعلا ويمدح ثباته فى الشدائد والمصاعب الجمة التى تهدم جبل رضوى مشيرا إلى شهرته الأسطورية التى تفشت فى أرجاء العالم إلى أن يقدم نفسه وفقا لصنعة التجريد شمسا منيرة لا يمكن إخفاء ضوئه المتكامل والمتزايد فى كل حين ولا يتمكن الآخرون من أن يضاهوه.

فى مكان آخر، يؤكد الشاعر على مكانته المرموقة الّتى يشتاق إليها كل سيد كريم، وممّا يدلّ على النرجسية فى جوهر الشاعر هو الإشارة الصريحة إلى مكانته العليا بين السماكين لرفعة مقامه وإعلاء شأنه الذى يرتفع به مرّ الأيام إلى السماوات العالية ومكان الخلود:

ولى مَنطقٌ لم يرْضَ لى كُنْهَ مَنزلى ... على أنّنى، بين السّماكين، نازِلُ
لَدى موْطِنٍ، يَشتاقُه كلُّ سيّدٍ ... ويَقْصُرُ عن إدراكه المُتناوِلُ
يُنافسُ يوْمى فىَّ أمسى، تَشرّفاً ... وتَحسدُ أسْحارى علىّ الأصائلُ

(المصدر نفسه: ١٩٤)

ولا يخفى على القارئ المتتبع جنوح الشاعر إلى الشعور بالعظمة الأدبية والبيانية والتعالى على الآخرين ممّا يعدّ من وجهة نظر «العلم النفسىّ التحليلىّ من معطيات الشخصية المصابة بالنرجسيّة» (جودة، ٢٠١٢م: ٥٥٦)؛ حيث يظن الشاعر أنّ مكانته

عالية جدا وهو لا يزال يحصل على الرتب الشـامخه يوما تلو آخر، بالمقارنة مع أقرانه، إلى حدّ يحسد عليها الدهر مع مضى الأيام لارتفاع شأنه ومقامه المتزايد فى كل يوم.

فى قصيـدة أخرى يخاطب المعـرى أعداءه والمعارضين الذين ادعـوا أنهم متفوقون عليه، بألفاظ قبيحة تعتبر من نوع النرجسية المخرّبة معتبراً إياهم من المضلين والحساد والمناوئـين الذين لا يمكنهم الوصول إلى مكانته الأدبية وبالتالى لا يتمكنون من إدراك أبعاد شخصيته السامية، قائلا:

تعاطـوا مكانى وقـد فُتُّهم فما أدركـوا غيرَ لَمحِ البصرْ
وقـد نبحُونى ومـا هجتُهم كما نبحَ الكلبُ ضَوءَ القمرْ

(المعرى، ١٩٥٧: ٢٠٢)

فى مجال آخر، يتطرق الشاعر إلى مكانته الضخمة بعيدة المنال لأقرانه، حيث ظهرت العزة له مكانة مرموقة فى العلى صوّرها الشـاعر بالسـبع الشداد أى السماوات السبع العليا، قائلا:

وكم مِن طالِبٍ أمَدى سيَلْقى دُوَيْنَ مَكانىَ السبْعَ الشّدادا

(المصدر نفسه: ١٩٨)

من الملاحظ أنه دفع حبّ الذات بشـاعرنا إلى أن يسعى جاهداً وراء إثبات الذات قولاً وفعلـاً ومن أبرز المجالات الّتى جعلها عرضة ومجالاً لحبّ الاسـتعراض هو مجال الشّعر فإنه فضلاً عمّا قاله فى تعظيم نفسه وإعلاء شأنه بذل ما فى وسعه لاحتقار الأعداء والحسّاد بمختلف الآليات الفنية والتعبيرية كالاستفهام والمغالاة والتأكيد وما شابه ذلک ممّا يفضى إلى الإثراء الدلالىّ.

البحث عن المناقب فى الآباء والفخر بهم

إنّ الاعتـداد بالآباء والأجداد من أهم الميزات الرئيسـية التى يعدّها بعض علماء النّفـس من ملامح الشـخصيات المصابـة بالنّرجسـية، حيث نلاحظ المحلّل النفسـىّ المعاصر "أوتو كيرنبيرغ" حدد فى تصنيفه للشـخصيات النرجسـية، أربعة أنواع مختلفة ومنهـا الشـخصيات المعتمدة[1] التى تتمثّل فى الكثير من الناس الذين تشـملهم مجموعة

1. dependent personality

النرجسيين. إنّ أفراد هذه المجموعة دائمو البحث عن الآباء المثاليين الكرماء وعند عدم وجود هؤلاء الآباء الذين يعتمدون عليه فإنهم ينهارون ويتحطمون؛ إذ لا يمكن أن تكون طريقتهم للبقاء وحفظ السلوك المتوازن إلاّ اعتماداً على هذا الأب المثالى.» (kernberg, 1974: 183) وللشاعر أسرة عريقة تسمو مكانتها حيث ينتمى لعائلة بنى سليمان، والتى بدورها تنتمى لقبيلة تنوخ، جده الأعظم كان أول قاضٍ فى المدينة. وقد نشأ شاعرنا فى بيت من بيوت العلم والفضل والأدب؛ فكان أبوه وأمه من ذوى الوجاهة والصلاح. وقد كان جده قاضى المعرة، وكان شاعرًا، أما أبوه فقد جمع بين الشعر والقضاء، وقد تتلمذ أبو العلاء فى بداية عمره على يد أبيه الذى علمه القرآن. فمن هذا المنطلق، إنّه يمجّد أسرته وقومه بالنبل وكرم المحتد وعراقة المنبت والعزة، حيث يقول:

أَتَمْشى القَوافى تحتَ غيرِ لِوائنا ونحْنُ على قُوّالِهَا أُمَراء؟
وأىُّ عَظيم رابَ أهْلَ بلادِنا فإنّا على تَغْيِيرِهِ قُدَراء
وما سَلَبَتْنا العِزّ قَطّ قبيلةٌ ولا باتَ مِنّا فيهِمُ أَسَراء

(المعرى، ١٩٥٧م: ١٩٠-١٨٩)

إنّ إعلاء شأن الآباء والأقوام والأقرباء من الموضوعات التى أشارَ إليها المعرى فى أشعاره مرارا؛ حيث نراه يفتخر بقبيلته مقابل القبيلة الأخرى الموجودة فى بلاده، بل يؤكد أنه لا عظمة من قبيلة غلبت عن التانوخ فى بلاده التى تستطيع أن تربى أهل بلاده وتغير أحواله الأحسن مما قبله إلا عظمة قبيلة التانوخ لمجرده. ومما يدل على نرجسية الشاعر ما يقوله عن افتخاره بقبيلته العزيزة مع عزتها العليا التى غلبت على القبيلة الأخرى. ولا يخفى أنّ الشّاعر كلّما يشيد بأصله ونسبه يمدح فى الحقيقة نفسه إذ أنّه هو الّذى يمثّل ويجسّد آباءه الماضيين الّذين صاروا عظاما نخرة بالية.

فضّل المعرى الأسرة التنوخية الّتى ينتمى إليها على غيرها من القبائل وهذا لو دلّ على شىء ليدلّ على معالم النرجسية فى نفس الشاعر وافتخاره بقومه وبقبيلته:

ولو قِيل اسْألوا شَرَفاً لَقُلْنا يَعيشُ لنا الأميرُ ولا نُزادُ
وكيفَ يَقِرّ قلْبٌ فى ضُلوعٍ وقد رَجَفَتْ لِعِلّتِهِ البِلادُ
بَنى من جَوْهَرِ العَلْياء بيْتاً كأنّ النّيرّاتِ لهِ عِمادُ
فلولا اللهُ قال الناس أضْحَتْ ثمانِيَةً به السّبْعُ الشّدادُ

أغَـرُّ نَمَتْهُ من غَسّـانَ غُرّ تَدِيـنُ لعِزّهِـمْ إرَمٌ وعادُ

(المصدر نفسه: ٨١-٨٠)

إنّ أبـا العـلاء يرى أن الأصول والأجداد الكريمة والمكانـة العالية كلّها حكر على الشـاعر وأجداده إذن فالحمد والجود كلّهما يسيران إلى حيث يسير أبو العلاء وأسرته التنوخية. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على نرجسية الشاعر واعتداده بقومه الذين أشاد بفضلهم وعزّتهم ومجدهم وأشار إلى عجز الأعداء من الوصول إلى قمتهم الشامخة منوّهاً إلى أنّه من أصل كريم، وأسرة نزيهة كابراً عن كابر، معتبرا إياهم ملوكا وأمراءا:

بَنُو أمْـلاكِ جَفْنَـةَ قَرّبَتْهُمْ إلى الرّوم اللّجَاجَةُ والعِنادُ
أرادَتْ أن تُقِيدَهُـمُ قُرَيْشٌ وكانـوا لا يُنـالُ لهـم قِيادُ
أقائِدَهـا تُغِصّ الجـوّ نَقْعاً وفوْقَ الأرضِ من عَلَقٍ جِسادُ
وقد أدْمَتْ هَوادِيَها العَوالى وأنْضَبَها التّطَـاوُلُ والطّرادُ
مُقَلَّـدَةً بهامـاتِ الأعادى كما بالـدُّرَ قُلّـدَتِ الخِرَادُ

(المصدر نفسه: ٨٢-٨١)

ولو أردنا أن نسـتقصى الأشـعار الممجّدة للشـاعر وأجداده لطال بنا المقام ولكن النماذج الشـعرية التى أوردناها فى هذا المجـال تكفى فى أثبات ما لدى أبى العلاء من ميل لتفضيل أسـرته التنوخية وقومه الذين يعتبرهم ملوكا وأمراء على غيرها وربّما فى ذلك مؤشر واضح على نرجسيته.

وممّا يؤيد رأينا فى هذا المجال هو أنّ المحلّل النفسـى «أوتو كيرنبرغ ذكر خاصيتين هامتين جداً للنرجسـية، الأولى: ميل النرجسيين؛ لأن يكون لهم خط ثابت من الشعور بالعظمـة وإعطـاء قيمة عاليـة لأفضالهم الشـخصية. والثانية: ميلهم إلـى البحث عن المثاليـة فى آبائهم القدامى وقد أكد ريتش هذه الخاصية، معتبراً إياها من معالم المرضى النرجسيين» (Reich, 1960: 215) بصورة واضحة.

إظهار الغضب والاستياء فى وجه كلّ من يأتى بما لا يرضيه

يـرى أوتو كيرنبرغ: «أن الشـخص النرجسـى، عندما يتعرض للهجـوم العاطفى

الشـامل، يتجاوب على الفور بالحزن والإحباط والاكتئاب، بدلا من الدفاع عن نفسه، الذى هو أول رد فعل للنرجسى متضخم الذات.» (kernberg, 1974: 193) فى السياق ذاته، تتصاعد أزمة شخصية أبى العلاء النرجسية فى تفاعلاته الإنسانية وإقامة علاقاته الاجتماعية وخاصة العاطفية منهـا؛ حيث يفتقد الارتباط العاطفى واحترام الآخرين وبناء العلاقات الاجتماعية السـلمية على كافة مسـتوياتها؛ فبالتالى يشـعر بالوحدة والعزلة رغم أنه كان محاطا بمجموعة من الناس، وجراء ذلك يُصابُ بالإحباط والفشل العاطفى عندما لا يُلقى له بال أو إعجاب خاص وهو يرى أنه يسـتحقه، ولا سـيّما فى سفره إلى بغداد، قائلا:

فلو خَبَرَتْهُمُ الجَوزاءُ خُبْرى ... لَما طَلَعَتْ مَخافَـةَ أن تُكادا
تَجَنّبْـتُ الأنامَ فـلا أُواخى ... وزِدْتُ عن العدُوّ فما أُعادى
ولّـا أنْ تَجَهّمَـنى مُـرادى ... جَرَيْتُ معَ الزّمانِ كما أرادا

(المصدر نفسه: ٣٧/٢)

وهـذا النوع مـن اللامبالاة أو نقص الاهتمام وكذلك إحسـاس شـاعرنا بالعجز والضآلة أمام المعاناة والظلم التى نراها من حوله هو الركيزة الأساسـية التى غرست فى دفينة شـاعرنا الحقارة النفسية الضخمة المتجلية فى حالة من التشاؤم الممزوجة بالعزلة والاكتئـاب والمزاجية؛ إذ إنه كان يتوقع أن يشـبع رغباته العلمية والأدبية ويسـتوفى الكمال فى الحياة الدنيا المادية ولكنه قد وقع فى مآذق حرجة خلال عيشه المليء بالفقر والبـؤس والإملاق تحت ظل المحن فى الدولة العباسـية. لقد واجه الشـاعر الصّعوبات الجمة التى سـاقته إلى استعراض مصائبه وتضخيمها، حيث يسلى نفسه الأبيّة الفخورة بذكر الموت والتشاؤم من الحياة الدنيا وأهلها فى غالب الأحيان.

لا يمكن إغفال دور الدولة العباسـية بما فيها مـن انعدام العدالة الاجتماعية أحيانا (جابرى نصر وبلاوى، ٢٠٢٠م: ١١١٥)؛ حيث أثار عدم التوازن والتساوى فى الحقوق حفيظة الشـاعر وضغينته. وظهرت فى أشـعاره شيئا فشـيئا آثار الاستياء فى وجه كل من يأتى بما لا يرضيه، واصطبغ شـعره بلون من التشـاؤم بسـبب الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية السـيئة المحيطة بحياته المشـحونة بالتوتر والمفعمة بالإملاق؛

إذن فنراه يتشاءم مرارا من الحياة الدنيا وقاطنيها فى الكثير من قصائده.

وفى السياق ذاته، إنّ الشخص النرجسى قد يظهر سلوكا دفاعيا أو غاضبا فى مثل هذه اللحظات المليئة بالضغوط النفسية والتأقلم أو عدم التكيّف مع الناس فى الحياة. يرى أوتو كيرنبرغ أنّ الشخص النرجسى عندما لا يحصل على التقدير المطلوب الذى يعتقد بأنه يستحقه، يشعر بالخزى والإحساس بالدونية ويتجاوب بعدوانية تجاه الآخرين.» (البحيرى، ١٩٨٧م: ٤٢) وهذا ما نراه لدى المعرى ونفسيته ولا سيما فى قصيدته المعنونة بِـ«يَحسُنُ مَرأى لِبَنى آدَم» أنموذجا؛ حيث تبلور فيها معان تشاؤمية تدلّنا إلى أنّه انغمس فى حالة من التشاؤم الممزوج بلمحات من النرجسية المؤذية التى تعذّب روحه المتلاطمة كل حين، قائلا:

يَحسُنُ مَرأى لِبَنى آدَم ... وَكُلُّهُم فى الذَوقِ لا يَعذُبُ
ما فيهُمُ بَرٌّ وَلا ناسِكٌ ... إلّا إلى نَفعٍ لَهُ يَجذِبُ
أَفضَلُ مِن أَفضَلِهِم صَخَرَةٌ ... لا تَظلِمُ الناسَ وَلا تَكذِبُ

(المعرى، ١٩٨١م: ١/١٥٥)

يمكن قوله إن المعرى لقد تصرّف بعدوانية مع جميع الناس إذ إنّه شعر بأنه مهمل فى المجتمع لا أحد يكترث لوجوده مع شأنه العظيم هذا فى الساحة العلمية والأدبية والثقافية والفلسفية. كأنه يخشى على نفسه من الناس، ويضع لنفسه الكثير من الخطوط الدفاعية فى علاقاتها معهم. وهذا يتّضح جلياً فى قصيدته المسماة بـ«إِذا حَضَرَت عِندى الجَماعَةُ أَوحَشَت»؛ حيث يواجه مشاكل كبيرة فى التعامل مع الضغوط والتكيف مع التغيير فيخاف من الاجتماع والمرافقة، فمن هذا المنطلق، يضمر شعورًا بعدم الأمان، والخزى، والضعف والمذلة. ومهما يبحث عن قرين أو أنيس يليق به لا يجد شيئا إلا التباعد عن الناس ومن أجل ذلک يفضّل العيش وحيداً منفرداً على العيش مع الأناس الوضعاء الّذين لا يستحقّون مجالسته ومصاحبته:

إِذا حَضَرَت عِندى الجَماعَةُ أَوحَشَت ... فَما وَحدَتى إِلّا صَحيفَةُ إيناسى
طَهارَةُ مِثلى فى التَباعُدِ عَنكُمُ ... وَقُربُكُمُ يَجنى هُمومى وَأَدناسى
وَأَلقى إِلَىَّ اللُبَّ عَهداً حَفِظتُهُ ... وَخالَفتُهُ غَيرَ المَلولِ وَلا الناسى

وَأَعجَــبُ مِنّى كَيــفَ أُخطِئُ دائِماً عَلى أَنَّنى مَن أَعرَفِ الناسِ بِالناسِ

(المصدر نفسه: ١٨٦/١)

ومن أهم مظاهر تشاؤمه الذى يمزج بظواهر من السيكوباتية أو النرجسية المرضية، انتقاده وكرهه من ســلوك الجنس البشــرى ونفوره من الناس وغباوتهم ونفاقهم وعدم عدالتهم، قائلا:

مَن عاشَرَ الناسَ لَم يُعدَم نِفاقَهُمُ فَما يَفوهونَ مِــن حَقٍّ بِتَصريحِ

(المصدر نفسه: ٢٩٩/١)

إذن فينفد الشــاعر صبره أو ينتابه الغضب عندمــا لا يتلقى معاملة خاصة من قبل الآخرين؛ بحيث يواجه مشــاكل كبيرة فى علاقاته الشــخصية ويشعر بسهولة بالإهانة. فمن هذا المنطلق، يجد الوحش أحق بالعشــرة من الناس قاطبة استخفافا بهم واحتقارا لهم، من خلال قوله:

الوحش فى الفلوات أجمل عشرة للمــرء من أهليــه فى الأمصار

(المصدر نفسه: ١٤٨/١)

يمكن القول إنّ اعتداد الشــاعر بنفســه وبأمجاده الماضين وبمؤهلاته العلمية والأدبية الخاصــة التى صقلتها الموهبة والإرادة والمطالعــة بالمقارنة إلى نظرائه فى مجال حياتهم المعيشــية والاجتماعية والسياسية إبان الدولة العباسية لقد وصله إلى الحد الأعلى من النرجســية فبالتالى جعله أكثر عرضة للإصابة بالأمراض الجسمية والروحية ولا سيما مرض الاكتئاب واليأس والاســتياء إثر عدم إشــباع رغباتــه الروحية والعاطفية رغم كفاءاته الكثيرة؛ إلى حيث نراه فى الكثير من أشعاره يتبرم من الناس قاطبة جراء هذا المرض الذى جلبته الآمال الغير محققة التى لم يجد طريقا لإرضائها.

الشكوى من الشدائد والحساد

يذكر "كيرنبيرغ" النرجســية «أنّها حالة مرضيــة وحقيقة تطورية، ويقدم لنا أوصافاً صريحة لتشخيص الشخصية النّرجسية، ومنها: طموح زائد واستغلال الآخرين والحسد الشــديد والمزمن والشكوى من الحسّاد و... .» (kernberg, 1974: 201) ثمّة ملمح من

ملامح النرجسية يستجليه هذا النموذج الشعرى وهو أنّ الشّاعر يميل إلى تفخيم ما يعانيه من المشاكل جراء أسره فى الحياة الدنيا وآل مصيره آنا إلى آن يعانى من الشدائد والأعداء، حيث يفتخر بنفسه شاكيا الحساد والمناوئين:

وإنى وإن كنتُ الأخيرَ زمانهُ لآتٍ بما لم تّسْتطعه الأوائلُ
وأغدو ولو أن الصباحَ صوارمٌ وأسرى ولو أن الظلامَ جحافلُ
وإنى جواد لم يُحَلَّ لجامُهُ ونضوً يمانٍ أغفلتهُ الصياقِلُ

(المعرى، ١٩٥٧م: ١٩٣)

يبدو جلياً من الأبيات السابقة أنّ الشّاعر ينكر أن يكون على وجه الأرض من هو أفضل منه كما يتّضح من استخدامه لأسلوب خبرى يدخله التأكيد إشارة صريحة إلى أنّ المعرى يعتبر نفسه أغلى وأسمى شأناً ومكانةً من كلّ مَن يعيش على مسرح الحياة طوال الدهر ويرينا فضائله على السابقين. لقد ركّز المعرى على أنه شخص قوى لا ينصرف عن غايته ولا يتأثر بالأحوال الواقعية. ولو كان الصباح سيوفا تطعن جلده والليل الظليم جيوشا متوحشة يستطيع المعرى مقابلتهما نفسه وحيدا. ولكن أكثر الناس قد أهملوه أو تغافلوا عنه.

فى مجال آخر، نرى الشّاعر يشكو من كثرة الحاسدين الذين يتوخون الوصول إلى مرتبته العلمية والأدبية، حيث أصبح النّاس كلّهم يحسدونه بقلوب مليئة بالأحقاد والضغينة والنفاق، قائلا:

ويَطْعَنُ فى عُلاىَ وإنّ شِسْعى لَيَأنَفُ أن يكونَ لـه نِجادا
ويُظْهِرُ لى مَوَدّتَهُ مَقالا يُبْغِضُنى ضَميراً واعْتِقادا
لىَ الشّرَفُ الّذى يَطَأُ الثُريّا معَ الفَضْلِ الذى بَهَرَ العِبادا
كم عَيْنٍ تُؤَمّلُ أن تَرانى وتَفْقِدُ عندَ رؤيَتِىَ السّوادا

(المصدر نفسه: ١٩٩-١٩٨)

وفى السياق ذاته، نلاحظ شاعرنا يئنّ ويتضجّر من مصائب الدّهر الّتى ألمت به، حيث يقول:

وَهَوَّنتُ الخُطوبَ عَلىَّ، حَتى كَأَنى صِرتُ أَمنَحُها الوِدادا

أَأُنْكِرُهـا ومَنْبِتُهـا فـؤادى وكيف تُناكِرُ الأرضُ القَتادا
فأىّ النّـاسِ أجْعَلُهُ صَديقا وأىّ الأرضِ أسْلُكُهُ ارْتِيادا
ولـو أنّ النّجومَ لـدىّ مالٌ نَفَـتْ كَفّاىَ أكْثرَهـا انْتِقادا
كأنى فى لِسـانِ الدهْـرِ لَفْظٌ تَضَمّـنَ منه أغْراضـاً بِعادا

(المصدر نفسه: ١٩٨)

بإمكاننا أن نقول إنّ المصائب وبليات الدهر كشّـرت لشـاعرنا أنيابها بوجه عابس متجهّـم مكفهّر فى سـاحة الحياة. إذن فكره المعرى الدهر الخـؤون كلّ الكراهيه، فنراه يلقى اللوم على الدّهر عبر الأبيات التى نشأت من أعماق نفسه المشحونة بالحقد للواقع المزرى معبراً عن الحالة النفسية المرهقة الّتى يعانيها، فهو يؤنّب الدّهر الغدار فى قصيدته المعنونة بـ«اللُّبُّ قُطبٌ، والأمورُ له رَحًى»، قائلا:

أترومُ من زمنٍ وفاءً مُرضياً، إنّ الزّمـانَ، كأهلِـه، غدّار

(المصدر نفسه: ٩٣)

يمكننا القـول إنّ المعرى لقد صوّر واقعه المرّ والحياة القاسـية أصدق تصويراً، فإنّه أزاح السـتار فى ديوانه الموسوم بـ"سقط الزند" عمّا مرّ به من تجارب سيئة وأحاسيس مؤلمة فى الحياة.

فى لقطة شـعرية أخرى، نرى الشـاعر يهجو المعارضين والحسـاد والمناوئين الذين يدّعـون أنهم متفقـون عليه بلهجة لا تخلو مـن الاعتزاز بالنفس وهـم الذين يخاطبهم الشاعر بألفاظ قبيحة ويسـميهم المضلين والمحتقرين الشبيهين بالكلب والنياق العشراء التى تتأخر فى الولادة عن بقية الإبل، قائلا:

تكلَّـم بـالقـول المضـلِّل حاسـدٌ وكلُّ كلام الحاسـدين هـراءُ
ومَنْ هوَ حتى يُحْمَلَ النّطْقُ عن فمى إليـه وتَمْشـى بينَنـا السُّـفَراء
ومُذْ قال إنّ ابن اللئيمةِ شـاعِرٌ ذَوُو الجَهْلِ ماتَ الشّعْرُ والشّعَراء
تُساوِرُ فَحْلَ الشعْرِ أو ليْثَ غابِه سِـفاهاً وأنـتَ الناقةُ العَشْـراء

(المصدر نفسه: ١٨٩)

لقد ذمّ الشـاعر وبلهجة يشوبها الاعتزاز بالنفس الحساد الذين عبّر عنهم بـ"الكلب

والنياق العشـــراء" ممّا يدّل على تفخيم الذات واســـتعراض القـــوّة والازدراء بالأعداء وهذا أكبر سمة تتّسم بها شخصية الشاعر النرجسيّة وفقاً لما بينه أوتو كيرنبرغ في آرائه السيكولوجية المذكورة أعلاه.

فيتّضح جليّا أنّ من يلقى نظرة عابرة على أشـــعار أبي العلاء المعرى وفخرياته ليرى في مواضع كثيرة من أشعاره أنّه يشتكى من أنّ النّاس يحسدون عليه وعلى مكانته الفذّة الفريدة.

النتيجة

لقد درســـنا في هذا المقال ملامح النرجســـية الشعرية لأبي العلاء المعرى وفقا للآراء النفســـية التي أدلى بها "أوتو كيرنـــبرغ" من علماء النفس المعاصريـــن ووصلنا إلى أن أســـباب نرجسية الشاعر تعود إلى عوامل نفسية وبيئية ووراثية. فمن هذا المنطلق، لقد تمثلت نرجســـية أبي العلاء المعرى في الاعتداد بالنفس وبالآباء والاستخفاف بالآخرين وإظهـــار الغضب والاســـتياء في وجه كل مـــن يأتي بما لايرضيه وكذلك الشـــكوى من الحساد والمناوئين. كما يمكننا تقسيم نرجسية الشاعر من حيث الكيفية إلى ثلاثة أنواع رئيسية، وهي: نرجسية ليبيدينال أو العاطفة النفسية. النرجسية المخرّبة التي تتعلق بحفظ على الشرف بطريقة التهديد والتهكّم والنرجسية السليمة التي تتعلق بالقدرة والشجاعة والثقـــة بالنفس. إن حالة النرجســـية لدى المعرى خلافا لما يـــراه النقاد والباحثون عن جذور انزوائه وأســـباب تشـــاؤمه، لقد تعتبر ردّة فعل نفســـية إزاء الحقارة التي مُنى بها إثر عدم احتفاء الســـلاطين فالمجتمع العباســـى به، حيث فجّر هذه الحالة من اللامبالاة مشـــاعر الشـــاعر وبعث روح النرجسية والفخر في نفســـه وخلق أنغاماً حزينة وشجية بقيثارة شـــعره المزيجة بحالة من التشاؤم والاكتئاب والميل إلى الموت. يتّضح أنّ اعتداد الشـــاعر بنفسه وبأمجاده الماضين وبمؤهلاته العلمية والأدبية لقد وصله للحد الأعلى من النرجســـية فبالتالي جعله أكثر رضة للإصابة بالأمراض الجســـمية والروحية ولا سيما مرض الاكتئاب واليأس والاستياء إثر عدم إشباع رغباته الروحية والعاطفية والآمال الغير محققة التي لم يجد طريقا لإرضائها رغم كفاءاته الكثيرة.

المصادر والمراجع

ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٤٢٦ق). لسان العرب. قم: مؤسسة الصّادق للطّباعة والنشر.
جابرى نصر، أحمد ورسول بلاوى. (٢٠٢٠م). «ملامح التشاؤم فى شعر أبىالعلاء المعرى و أبىالقاسم الشابى (قراءة موازنة)». مجلة علوم اللغة العربية وآدابها. المجلد ١٢. العدد ١. صص ١١٢٤-١١٠٨
إقبالى، عباس وسمانه نقوى. (١٤٤٠ق). «إطلالة على قصائد عنترة بن شداد فى المنظور النفسى وفقاً لنظرية أدلر». مجلة اللغة العربية وآدابها. السنة ١٤. العدد ٣. صص ٤٢٦-٤٠٧
البحيرى، عبدالرّقيب أحمد. (١٩٨٧م). الشّخصية النّرجسية. الطبعة الأولى. القاهرة: دار المعارف.
جودة، آمال عبدالقاهر. (٢٠١٢م). «النرجسية وعلاقتها بالعصابية لدى عينة من طلبة جامعة الأقصى». مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية. المجلة العشرون. العدد الثانى. صص ٥٨٠ – ٥٤٩.
عبدالرّحمن محمّد، إبراهيم. (٢٠٠٠م). الشر الجاهلى قضايا الفنيّة والموضوعية. لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.
غرانبرغر، بيلا. (٢٠٠٠م). النرجسية: دراسة نفسية. ترجمة وجيه أسعد. دمشقّ: منشورات وزارة الثقافة.
فضل، صلاح. (١٤١٧ق). مناهج النقد المعاصر. القاهرة: دار الآفاق العربية.
المعرى، أبو العلاء أحمد. (١٩٥٧م). سقط الزند. بيروت: دار صادر.
المعرى، أبو العلاء أحمد. (١٩٨١م). لزوم ما لا يلزم (اللزوميات). بيروت: دار صادر.

المراجع الأجنبية

Otto. F.Krenberg. (1966م.(structural derivatives of object relationships. International journal of psychoanalises. Vol.47(2). pp.236-53
Reich, A. (1966م.(Pathologic Forms of Self-Esteem Regulation. The Psychoanalytic Study of the Child. Vol. 15. No. 1. pp. 215-232.